

تقنيات اللغة ومعيارية تطويرها

إعداد : د. فريدة الأمين المصري

قسم اللغة العربية

كلية اللغات - جامعة طرابلس

تقنيات اللغة و معيارية تطورها

د. فريدة الأمين المصري

كلية اللغات . جامعة طرابلس

مقدمة :

ارتبطت اللغة بالإنسان منذ نشأته الأولى على الأرض ، ولذلك يقال : إن الإنسان حيوان ناطق ، والنطق هنا لا يعني إصدار الأصوات بقدر ما يعني تطورها إلى مفردات وكلمات تحوي أفكاراً ومشاعر وخواطر ، إذن بذلك يرتبط النطق مع التفكير مباشرة ، فالإنسان هو مفكر بالدرجة الأولى ، لذلك فهو ناطق او مخترع النطق ، وبالتالي فهو مؤسس اللغة التي يعبر بها عن كل مايجول بعقله وفكره وقلبه ، وهو إنسان متطور ، ولذلك فهو يطور أدواته الفكرية والاجتماعية وكذلك اللغوية ، ومن هنا فإن اللغة العربية باعتبارها لغة استوعبت افكاراً إنسانية قيمة ، وعلوماً مختلفة على مدى قرون ، فهي الآن في عصرنا هذا تمر بأزمة لم تشهد لها مثيلاً في السابق ، لكننا نراها قادرة على الخروج من هذه الأزمة ، لأنها أزمة وضعية او موضوعية وليست أزمة اصيلة فيها ، ومن هذا المنطلق سوف أتناول في هذا البحث علاقة اللغة العربية بالإنسان وماقدمته له ، وواجب هذا الإنسان تجاهها ، وذلك من خلال المباحث الآتية :

المبحث الأول : ويتناول اللغة بوصفها أداة اتصال اجتماعي .

المبحث الثاني : مقروئية اللغة ومحكيته .

المبحث الثالث : وسائل الاتصال ومدى استيعابها للحراك اللغوي .

المبحث الرابع : الترجمة والتبادل الثقافي والفكري .

المبحث الخامس : كينونة اللغة ومقاربة التطور العلمي .

المبحث الأول: اللغة بوصفها أداة اتصال اجتماعي :

عندما قال ابن خلدون (الانسان اجتماعي بطبعه) يعني أنه كائن متواصل مع مجتمعه وبيئته وعالمه، والتواصل على اختلاف اشكاله أدواته اللغة، ولتحقق اللغة هدف التواصل، عليها ان تكون موحية مؤثرة إيجابياً لأن اللغة هي " نظام من العلامات تتسم بقبولها للتجزئة، ويتخذها الفرد عادة وسيلة للتعبير عن أغراضه، ولتحقيق الاتصال بالآخرين، وذلك بوساطة الكلام والكتابة " ¹.

فدلالة الكلمات تحتل مضموناً قد يشكل بعداً سلبياً او يشكل بعداً ايجابياً، ويبقى الاختيار قائماً بين البعدين، ويبقى الفرد حريصاً على اختيار الإيجابي منهما، لأنه يستخدم اللغة من أجل نشدان وظيفة معينة، سواء أكانت الإبلاغية أم التعبيرية ام الاجتماعية ام الطلبة ².

وتدخل اللسانيات الاجتماعية ضمن اهتمام اللسانيات الموسعة التي تشمل ايضاً اللسانيات (العرقية) أو الثقافية واللسانيات النفسية حيث يدرس علم اللسانيات الثقافية اللغة من حيث علاقتها بالثقافة، ويدرس علم اللسانيات النفسية العلاقة بين اللغة والعقل وكيفية اكتساب اللغة وفهمها، كما يحدد الجوانب الوراثية في اللغة، أما علم اللسانيات الاجتماعية فيدرس علاقة اللغة بالمجتمع باستخدام علم الاجتماع الذي يبحث في المعنى الاجتماعي لنظام اللغة ³.

و في اعتقادي فإن اللسانيات الثقافية واللسانيات النفسية بمذنين المفهومين لآخترجان عن سياق اللسانيات الاجتماعية، وهذا يحدد لدينا مفهوم اللغة من حيث كونها اختراع اجتماعي يلي حاجة اجتماعية متفق عليها في ذاكرة المجتمع، وهي ايضاً تتعايش مع الإنسان وتتنوع بتنوع الجنس البشري تواكب حضاراته وتتفاعل مع تطوراته عبر أزمته المختلفة وعصوره المتباينة، يفكر بها وتعبر عن تفكيره وانفعالاته، تتراجع بتراجعها وتنهض بنهوضه، يناضل بواسطتها نحو الوصول إلى المعرفة، لأنها مفتاح المعرفة، فالإنسان الأول الذي احتاج إلى اختراع الآلة لاستمراره، احتاج لتسمية هذه الآلة وكلما طوّر في آله، طوّر في اسمائها، وكلما استخدم آلة طوّر في التعبير عن فعل الاستخدام بحسب نوعه، وانعكس احتياجه للغة على مدى اختراعه لها و لوسائلها، فالصم والبكم اخترعوا لغتهم الخاصة، والمكفوفون اخترعوا لغتهم، لذلك فإن حاجة الإنسان والمجتمع للغة تضاهي حاجته إلى الغذاء والماء من أجل استمراره وتواصله.

¹ مدخل إلى اللسانيات. د. محمد محمد يونس على، بيروت، دار الكتاب الجديدة المتحدة ط1، 2004، ص26.

² انظر: المرجع السابق ص81.

³ انظر المرجع السابق ص21-22.

المبحث الثاني : مقروئية اللغة ومحكيها :

وينبغي ان نقول محكية اللغة ومقروئيتها باعتبار أن اللغة الشفاهية والسماعية كانت قبل الكتابية والمقروئية . وذلك من منظور تاريخي ، فاللغة كما مر بنا أداة اتصال اجتماعي ، وهي مرتبطة بالتفكير والاختراع والإبداع ارتباطاً مباشراً ، فالإنسان في مرحلته الشفاهية كان يفكر تفكيراً شفاهياً فاخترع لغة محكية قابلة للنحل والتغيير ، لأن تداولها ونقلها من واحد إلى آخر ومن زمن إلى زمن ، ومن مكان إلى مكان كل ذلك من شأنه أن يعيد الصياغة من جديد . ولو بقدر . على الرغم من حرص الناقل على أمانته ، الأمر الذي يتضح في القصص والملاحم التي كتبت لها الحياة ، وعاشت إلى عصرنا هذا ، ذلك أن الحفظ الحرفي بالذاكرة يتطلب نصاً ثابتاً ، وهذا من المحال في الأشعار الشفاهية التقليدية السردية على حسب تقدير ألبرت لورد في مجال النظرية الشفاهية ¹ .

وعلى الرغم من تداول اللغة المحكية شفاهياً عبر ذاكرة الزمن ، فإن الإنسان استطاع ان يعبر بها عن مواقفه تجاه الكون والحياة والموت ، ويصور بها مشاعره وأحاسيسه ، ولا أدل على ذلك من الشعر العربي القديم والحكم والافعال التي بقيت في الذاكرة العربية إلى وقتنا هذا والتي تتضمن دلالة اجتماعية معينة كانت قائمة في ذلك الحين ، والتي تمثلها الملحمة الشعبية العربية في مجال السيرة مثل سيرة بني هلال ، وكذلك كل ما يتعلق بعلم الأنساب ومايشتمل عليه من أهمية تاريخية ² .

وفي الوقت نفسه فإن أهمية تلك الثقافة الشفاهية التي أسست لها اللغة المحكية كانت مرجعاً مهماً للثقافة الكتابية فيما بعد ، ذلك ان التدوين بكل أشكاله التاريخية ، وأبعاده المعرفية كان قد اعتمد على ماتم اختزاله من مرويات شفوية كانت اساساً للمادة الإخبارية فيما بعد والتي خضعت إلى التعديل والتنظيم ³ وذلك عند تدوينها وتحويلها من حالة محكية إلى حالة مقروئية .

¹ انظر : الشفاهية والكتابية والترج ، اونج .ت : حسن البنا عز الدين ، سلسلة عالم المعرفة ، فبراير 1994 ص38.

² انظر : المرجع السابق ص43.

³ انظر : حفريات في الأدب والاسطورة .د. محمد عجينة ، تونس ، دار المعرفة للنشر ، ط1 ، 2006 ، ص80.

المبحث الثالث: وسائل الاتصال ومدى استيعابها للحراك اللغوي :

تتنوع أنظمة الثقافة بتنوع مجالات الحياة وتطوراتها ولذلك تتعدد الوسائط الثقافية ،ومن أهم هذه الوسائط التي يمكن الاستعانة بها في خدمة اللغة العربية¹ وسائل الاتصال الجماهيرية المتمثلة في الصحافة المكتوبة التي تشمل الصحف والمجلات بأنواعها ،وكذلك أجهزة الإعلام سواء أكانت المسموعة أم المرئية ،والأخيرة هي الأكثر انتشاراً وأوسع امتداداً وخاصة الفضائيات المنتشرة حالياً عبر الأقمار الصناعية والتي تبث برامجها على مدى أربع وعشرين ساعة ،وهي تتضمن كل المجالات السياسية والاقتصادية والرياضية وهي الأكثر استحواداً على عقول الشباب والفضائيات الخاصة بالمرأة ،وفضائيات الأطفال وغيرها ،وهذه جميعها تستخدم اللغة لتوصيل المعلومة المراد نشرها ،ناهيك عن الساعات التي تغطي الأفلام والمسلسلات المدبلجة باللغة العربية على مختلف جنسياتها من مكسيكية إلى تركية إلى كورية وغيرها ،والتي بدأت مؤخراً في استخدام اللهجات المختلفة في دبلجتها ومنها . على سبيل المثال . اللهجة اللبنانية واللهجة المصرية ،وفي نفس الوقت يواكب ذلك دبلجة برامج الأطفال أيضاً باللهجة اللبنانية والمصرية ،والسباق جار على قدم وساق أيضاً فيما يتعلق بالإعلانات على السلع المختلفة والتي في أغلبها تستخدم اللهجة المحكية ،وفي إحدى الفضائيات العربية الخاصة تستخدم اللهجة المحكية في نشرة الأخبار . على غير المعتاد . في حين أن اللغة العربية الفصحى قادرة على استيعاب كل هذه المجالات ،وهي أيضاً قادرة على احتواء المصطلحات الحديثة ،بل باستطاعتها أن تضيف أناقة لفظية ،ورقياً لغوياً من شأنه أن يجدد الدماء في اللغة العربية ويقربها إلى استخدام العامة في معاملاتهم وأحاديثهم ،وخاصة عندما تبسط اللغة وتخرج من برجها المعجمي إلى معايشة واقع الناس ، والتفاعل مع قضاياهم ومشكلاتهم ،ولأدل على ذلك من قصائد الشاعر العربي نزار قباني الذي وصلت تقنياته اللغوية إلى اسماع الشباب العربي بدون إشارات حمراء تستوقف السامع ليبحث عن مفردة غريبة عنه وعن عصره وزمنه ومكانه ،فمفرداته ابنة بيتها وابنة عصرها استمع إليها جيل الستينيات والسبعينيات والثمانينيات و دخلت الألفية الثالثة وهي في أوج ازدهارها وقوة سحرها ،لأنها لامست اهتمامات المواطن العربي ،وعبرت عن همومه ،وغازلت عاطفته بصدق شاعري وشعوري ،وصدق تقني لغوي ،والأمثلة كثيرة لكنني استشهدت بنزار على وجه الخصوص لأنه ظاهرة فنية شعرية واكبت أحداثاً عربية جسيمة ،وصورت الواقع العربي المأزوم اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً ،ولأنه شاعر قصائده تنتمي إلى العروبة والعربية بدون منازع وإلى وقتنا الحاضر ،ومن هذا المثال نستطيع أن

¹ وضع التصورات الكفيلة للارتقاء بمناهج اللغة العربية وآدابها .د. ضو محمد بوني ،مجلة الجامعي ، ربيع 2009 ، ص68.

ندرك أهمية اللغة العربية في الرقي بالمواطن العربي والمسلم عبر أجهزة الإعلام التي بدأت شيئاً فشيئاً تتخلى عنها وخاصة القطاع الخاص منها، في حين أن اللغة العربية . في تقديري . لم تتخلَّ عن انتمائها وهويتها حتى وإن كانت واجهات المحلات التجارية مكتوب عليها أسماء بلغات أخرى غير العربية، أو بحروف عربية لكلمة أجنبية النطق . وإذا أردنا أن نستشهد بمثال آخر من واقعنا اليومي المعاش فلن نجد خير من حديث طفل يشاهد برامجه المفضلة من أفلام كرتون إلى برامج متنوعة تبث باللغة العربية الفصحى . فنلاحظ أنه قد استوعب هذه اللغة لدرجة أنه يستخدمها استخداماً دقيقاً في أحاديثه .

المبحث الرابع : الترجمة والتبادل الثقافي والفكري :

تعد الترجمة من لغة إلى لغة أخرى مكسب حضاري وفكري وثقافي وعلمي، وقد قامت حركة الترجمة على اعتبارات معرفية أو اعتبارات توسعية أو اعتبارات ايديولوجية¹، لكنها في النهاية أدت دوراً كبيراً في إثراء الفكر الإنساني، ودخلت اللغة العربية ميدان الترجمة من أوسع أبوابه، حيث ترجمت الكتب والدواوين من العربية وإليها من اللغات الأخرى، ويذكر المسعودي أن أول مترجم في الاسلام كان زيد بن ثابت الأنصاري الخزرجي الذي كان " يكتب إلى الملوك ويحيب بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وكان يترجم للنبي صلى الله عليه وسلم بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية : تعلّم ذلك بالمدينة من اهل هذه اللسان"².

اما بدايات حركة الترجمة في الاسلام فكانت في عهد بني أمية في حركة نقل الدواوين بمبادرة من الحجاج في ترجمة الديوان المكتوب بالفارسية، و من هشام بن عبد الملك في ترجمة الديوان المكتوب بالرومية، ثم اتسعت حركة الترجمة لتشمل العلوم والمعارف والأدب والشعر، نظراً للمكاسب المعرفية التي جُنيت بواسطتها في العلوم العقلية والفلسفية، وكذلك كان الحال عندما أخرجت الترجمة الغرب من ظلام القرون الوسطى إلى عصر جديد يتسم بالتنوير وفتح آفاق المعرفة، وهذا ما كان ليتحقق لولا حركة ترجمة الكتب العربية والكتب اليونانية عن طريق العربية أو العبرية إلى اللاتينية، حيث عرفت اللغات مصطلحات ومفاهيم وعلومًا جديدة لم تكن تعرفها من قبل كعلاقة اللغات الأخرى علم الجبر الذي انتقل من العربية إليها . كما دخلت على اللغة العربية مصطلحات علمية وأدبية ونقدية

¹ انظر : الترجمة والامبراطورية (نظريات الترجمة ما بعد الكولونيالية) *، دوجلاس روبنسون، ت : ثائر ديب، القاهرة، المجلس الاعلى للثقافة، ط1، 2005، ص51.

² التنبيه والإشراف، المسعودي، بيروت، دار مكتبة الهلال، 1981، ص262.

أغنتها ،ولذلك فإن التبادل الثقافي والفكري والعلمي وكذلك الاقتصادي لا يتحقق إلا من خلال الترجمة والنقل ،وبتحقيق هذا التبادل والتواصل تقام الحضارات وتستفيد من بعضها البعض ،ويُعد إتقان اللغة هو الوسيلة الرئيسية للتمكن من نجاح الترجمة ،وتوصيل المعلومة بطريقة سليمة إلى القارئ أو الباحث الذي لم يتسن له معرفة لغة أخرى .

فإذا كانت أهمية الترجمة بهذا القدر في النهوض بحضارات سابقة ، مثل الحضارة الإسلامية في عصور ازدهارها ،فماذا ستكون أهميتها بالنسبة لنا في القرن الحادي والعشرين ،هذا العصر الذي اتسم بالانفتاح على كل الفضاءات عبر شبكة المعلومات الدولية ،والفضائيات التي تصل إلى البيوت مباشرة عبر الأقمار الصناعية ،لقد باتت الترجمة من أهم عناصر قيام الحضارة الإنسانية الجديدة التي تواكب كل العلوم والثقافات ،وهي من أهم الوسائل المستخدمة في المراكز البحثية المختلفة ،وبالتالي فإن اللغة تبقى حاضرة في كل العلوم عن طريق القواميس الحديثة المتخصصة ، مثل : القاموس الاقتصادي والتجاري ، القاموس السياسي ،القاموس الجغرافي ،القاموس القانوني ،القاموس الطبي ، قاموس المصطلحات العلمية والهندسية وكذلك القواميس ذات العلاقة بعلوم الاجتماع وعلم النفس والأدب والنقد ،والقواميس العامة غير المتخصصة ،إلى غير ذلك ،على أن يكون الغرض من الترجمة هو نشر العلم والمعرفة ، لا أن يكون الهدف من أجل التوسع الاستعماري ،وبسط النفوذ ، والاستيلاء على موارد الدول الأضعف ،ومن هنا فإن اللغة العربية لديها قابلية النمو والتطور لأنها تملك إمكانيات هذا التطور ،وإمكانياتها تتمثل في الاشتقاق والنحت والتعريب والتوليد والتحديث¹ ولهذا فإن الترجمة تعد مشروعاً استراتيجياً ينبغي ان تدعمه مؤسسات الدول العربية بالتعاون مع مراكز للترجمة ومجامع اللغة العربية ، بإعداد المترجمين المتمكنين ،وتوفير الإمكانيات المادية والحوافز المعنوية لإنجاح هذا المشروع الذي لاغنى عنه في عالم يتطور لحظة بلحظة ،ومواكبة كل تطوراتها وخاصة الإيجابية منها التي تساهم في النهوض بالدول العربية والإسلامية على السواء .

المبحث الخامس : كينونة اللغة ومقاربة التطور العلمي :

ونقصد بالكينونة المفهوم والحقيقة والخصائص ،فاللغة قبل أن تكون وسيلة اتصال ،هي أيضاً أداة للتفكير ،وليكون التفكير منطقياً علمياً ، ينبغي أن تكون أدواته معبرة عن هذا النوع من التفكير ،وتخرج من دائرة كونها وسيلة التعبير الشعوري والعاطفي وحده ،واللغة

¹ انظر : الترجمة والتعريب وأثرهما في تنمية اللغة ،د. ثريا محمد الشفطي ،مجلة السائل 3ع ،ديسمبر 2007 س2، ص32.

العربية كما مربنا - لغة مدركة لانجازات الإنسانية ،فقد اتسعت لمختلف العلوم إبداعاً وترجمة عبر عصورها المختلفة ،ناهيك عن أنها احتوت معجزة البيان العربي - القرآن الكريم - فأعطاهما ذلك قوة لاتضاهى أدى إلى سرعة انتشارها واحترامها بين الدول الأخرى لدرجة أنهم كانوا يضطرون إلى الكتابة بالعربية في مكاتباتهم الرسمية مع الدول الإسلامية ،لأنها كانت لغة السياسة والتجارة والعلم والثقافة أيام الحضارة الاسلامية ،وهي تشبه في ذلك الحين اللغة الانجليزية في وقتنا الحاضر ، حيث كانت العربية لغة دولية عامة في المعاملات قرابة ألف سنة¹ .

إن اللغة في كينونتها وماهيتها منفتحة على عوالم ومجالات مختلفة من المعرفة ،ولايمكن لها أن تتقوقع وتتأطر ضمن قوالب جامدة ، لذلك فإن مدرس اللغة العربية ينبغي عليه أن يخرج من محرابه إلى البيئة الأوسع والعالم المتعدد الآفاق بتقنياته المختلفة ، كما أن عليه أن يخلع جلباب امرئ القيس وطرفة بن العبد - على جماله . فالشاعر الجاهلي عبر عن بيئته وأسلوب حياته ، والشاعر الإسلامي أدى رسالته بنجاح ،والأندلسي طرز قصائده بألوان الطبيعة الغناء ، بينما بقي مدرس اللغة العربية في حاضرتنا يعيش واقعاً مخالفاً ،أو مختلفاً عما يقرأه في الكتب ، ثم ينقلكما هو دون تفكير أو مناقشة إلى طلابه ، فالمعلم والمنهج محتاجان إلى تطوير يواكب المتغيرات العالمية الجديدة وخاصة معلم اللغة العربية ومناهجها .

خاتمة :

اللغة كيان عضوي يحيا ويتنفس ، يتطور بتطور العوامل الداخلة عليه ،وأهم هذه العوامل . في اعتقادي . هو الثقة بالنفس ،والرد على كل مامن شأنه إحباط هذا الكيان وتحجيمه ،والعصور عبر التاريخ تشهد على قوة وعظمة اللغة العربية عندما كانت الحضارة الإسلامية ذات نفوذ وسيادة ،وعندما فتحت هذه الحضارة براحها للغوى أمام الآداب والعلوم والفنون ،فزادها ذلك قوة ،ونحن اليوم في

¹ انظر الاسلام والحضارة العربية ، محمد كرد على ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط3 ، 1968 ج 1 ، ص181.

الطرف البعيد عن مرفأ الحضارة العالمية ، يتحتم علينا . وكلنا مسئولون . أن نعيد إلى أنفسنا ثقة بذواتنا ، كنا قد فقدناها بفعل حركة استعمارية فرضت سيطرتها ، ورسخت مفاهيم مثل الجهل والتخلف على الشعوب العربية الإسلامية ، بل شككت في إمكانيات اللغة العربية ، وقصور الدين الإسلامي عن مواكبة التطور .

لذلك فإن نفض غبار هذه المفاهيم المضللة للمواطن العربي حول نفسه ودينه ولغته تبقى مسؤولية الدول العربية والإسلامية ، لكي تتمكن من إعادة بناء نفسها بنفسها .

المصادر والمراجع

أولاً: العربية

- 1- د. ثريا محمد الشفطي : الترجمة والتعريب وأثرهما في تنمية اللغة ، مجلة الساتل ، ع3 ، ديسمبر 2007 .س2.
- 2- د. ضو محمد بوي : وضع التصورات الكفيلة للارتقاء بمناهج اللغة العربية وآدابها .مجلة الجامعي ، ربيع .2009
- 3- د. محمد عجينة : حفريات في الأدب والأسطورة ، تونس ، دار المعرفة للنشر ، ط1 ، .2006

- 4- محمد كرد على : الإسلام والحضارة العربية ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط 3 ، 1968.
- 5- د.محمد محمد يونس على : مدخل إلى اللسانيات ، بيروت ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ط 1 ، 2004.
- 6- المسعودى : التنبيه والإشراف ، طبعة دار ومكتبة الهلال المصورة ، بيروت ، 1981.

ثانياً: المترجمة :

- 1- دوجلاس روبنسون : الترجمة والامبراطورية (نظريات الترجمة مابعد الكولونيالية) ت:نائر ديب ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط 1 ، 2005.
- 2- والترج ، أونج : الشفاهية والكتابية . ت : حسن البنا عز الدين . الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، فبراير 1994.